مجلـــــة العلـــــوم التربـــــوية والدراســـــات الإنســـــانيــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

التناسب القرآني في النظم الموضوعي لقصة لوط عليه السلام "سورة هود نموذجا"(*)

الباحثة/ شيخة بنت محمد بن صالح الجعيدي
قسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية
جامعة الأمير سطام - المملكة العربية السعودية

*) تاريخ تسليم البحث 9/12/2023 تاريخ قبوله للنشر 3/1/2024
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

التناسب القرآني في النظم الموضوعي لقصة لوط عليه السلام "سورة هود نموذجا"

الباحثة/ شيخة بنت محمد بن صالح الجعيدي
قسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية
جامعة الأمير سطام - المملكة العربية السعودية

الملخص

هَدَفت الدراسة إلى إظهار التناسب في قصة لوط –عليه السلام– وبيان الوحدة الموضوعية بين قصة لوط والسورة الواردة فيها، وإبراز التناسب بين القصة والمقصود الكلي للسورة، والتناسب بين القصة ومطلع السورة، وبين القصة وخاتمة السورة، مع بيان التناسب القرآني بين قصة لوط –عليه السلام– والقصة التي قبلها وبين قصة لوط –عليه السلام– والقصة التي بعدها، ولتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت الدراسة إلى أنّ قصة لوط –عليه السلام–جاءت مناسبة لمقصد السورة التي وردت فيها، كما أنّ القصة مناسبة لمطلع سورة هود وخاتمتها، إضافة إلى أنّ هناك علاقة بين قصة لوط –عليه السلام–والقصة التي قبلها والقصة التي بعدها في تناسب عجيب وترتيب بديع.

الكلمات المفتاحية: قصص الأنبياء، التناسب القرآني، قصة لوط عليه السلام، بلاغة القرآن، علم المناسبات.

Quranic proportionality in the thematic systems of the story of Lot, peace be upon him "Surat Hud as a model"

Researcher/ Sheikha bint Muhammad bin Saleh Al-Jaidi
Assistant Professor in the Department of Rhetoric and Criticism
College of Education, Department of Arabic Language and Literature
Prince Sattam University in Al Kharj, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

The study aimed to show the proportionality in the story of Lot - peace be upon him - and to demonstrate the thematic unity between the story of Lot and the surah contained in it, and to highlight the proportionality between the story and the overall intent of the surah, and the proportionality between the story and the beginning of the surah, and between the story and the conclusion of the surah, while explaining the Qur'anic proportionality between the story of Lot - peace be upon him. Peace be upon him - and the story before it, and between the story of Lot - peace be upon him - and the story after it. To achieve the objectives of the study, the descriptive analytical method was used, and the study concluded that the story of Lot - peace be upon him - was appropriate for the purpose of the surah in which it was mentioned, just as the story is appropriate for the beginning of Surat Hud. And its conclusion, in addition to the fact that there is a relationship between the story of Lot - peace be upon him - and the story before it and the story after it in a strange proportion and wonderful arrangement.

Keywords: stories of the prophets, Qur'anic proportions, the story of Lot, peace be upon him, the eloquence of the Qur'an, the science of occasions.

مقدمة الدراسة:

الحمد لله رب العالمين حمدًا يليق بجلاله، والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد حظيت القصة القرآنية باهتمام الباحثين، ولا سيما في موضوع قصص الأنبياء (عليهم السلام)، فقد نال حقه من اهتمام الباحثين على اختلاف تخصصاتهم، وظهر ذلك الاهتمام في مؤلفاتهم، فأبرزوا من خلالها بلاغة القرآن الكريم وإعجازه.

ومن هنا فقد عقدت العزم أن يكون عملي المتواضع في هذا المجال بدراسة بعنوان (**التناسب القرآني في النظم الموضوعي لقصة لوط–عليه السلام–سورة هود نموذجا**)؛ للوقوف على التناسب القرآني في القصة، وإبراز هذه الوحدة الموضوعية فيها، والتي أسهمت في إظهار شيء من إعجاز القرآن في القصة.

وتكمن أهمية البحث في إبراز التناسب في القصة ولما في ذلك من إفادة المتخصصين، فكان من المهم دراستها، إضافة إلى العناية بالنظم الموضوعي للقصة، ومدى مناسبتها للسورة، ومن هنا يأتي هذا البحث؛ ليبرز التناسب الموضوعي في قصة لوط –عليه السلام– الواردة في سورة هود.

أسباب اختيار الموضوع:

فتتجلى في رصد المناسبات القرآنية فيما يتعلق بقصة لوط –عليه السلام– في سورة هود، وبيان صلتها بإعجاز القرآن الكريم، وقد جاء اختيار هذه القصة؛ لكونها لم تدرس من قبل الباحثين ولازدهار حركة التأليف والتصنيف في التناسب القرآني، وفي ذلك مشاركة الباحثين في مواصلة دراسة التناسب القرآني، إضافة إلى جِدّة الموضوع، إذ لم توجد – في حدود علمي– دراسة علمية متخصصة في بحث هذا الموضوع، وهذه جملة من الأسباب التي دفعت إلى اختيار هذا الموضوع، ودراسته.

ويهدف هذا البحث إلى بيان إعجاز القرآن الكريم، ومدى التناسب من خلال قصة لوط عليه السلام في سورة هود مع مقصودها، وبيان التناسق الموضوعي فيها، وكذلك إبراز التناسب القرآني بين قصة لوط –عليه السلام– ومطلع سورة هود وخاتمتها، إضافة إلى إبراز التناسب القرآني بين قصة لوط –عليه السلام– مع القصة التي قبلها والقصة التي بعدها.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسّم أربعة مطالب تسبقها تمهيد، وتليها خاتمة بها أهم النتائج.

المطلب الأول: التناسب بين القصة والمقصود الكلي للسورة.

المطلب الثاني: التناسب بين القصة ومطلع السورة

المطلب الثالث: التناسب بين القصة وخاتمة السورة.

المطلب الرابع: مناسبة القصة للقصة التي قبلها والتي بعدها.

وبعد: فإني أحمد الله، وأشـــكره على إعانته وتوفيقه، وعلى ما منّ به عليَّ من نعمٍ شـــتى، ما علمت منها، وما لم أعلم، وما هذا العمل إلاَّ تيسير وإعانة منه، سبحانه، فله الحمد، وله الشكر، أولًا وآخرًا.

وأســـأله جل جلاله وعظمت أسماؤه أن يتقبل مني هذا العمل خالصًـــا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسـناتي يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصـاحبته وبنيه وفصـيلته التي تؤويه، والحمد لله في الأولى والآخرة، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى، ومن اتبع من عباده الهدى.

التمهيد:

أولًا: تعريف التناسب لغة واصطلاحًا:

المناسـبة في اللغة: أورد أصـحاب المعاجم اللغوية في مادة (نسـب) أنها تدور حول اتصـال شـيء بشيء، منهم ابن فارس حيث يقول: "النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، ومنه النسب سمي لاتصاله، وللاتصال به، ومنه النَّسيبُ في الشِّعر إلى المرأة، كأنَّه ذِكْرٌ يتَّصِل بها"(١)، يتَّضح من التعريف السابق أن المناسبة تعني الاتصال والربط بين شيئين.

المناسـبة في الاصـطلاح: ويُعرّف علم التناسـب بأنه "علم تُعرف منه عِللُ ترتيب أجزائه، وهو سـر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال"(٢).

أو هو "علم يعرف به ارتباط آي القرآن بعضـها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسـقة المعاني، منتظمة المباني، يربطها رابط عام أو خاص، عقلي أو حســـي أو خيالي، أو غيره من أنواع العلاقات أو التلازم".

وهكذا يظهر أن التعريف الاصـطلاحي للمناسـبات مرتبط بالمعنى اللغوي لها؛ لأن المعنى اللغوي يدور حول اتصال شيء بشيء والتعريف الاصطلاحي يبحث فيما وراء هذا الاتصال، والبحث عن العلة.

وقد صرّح العلماء بفائدة هذا العلم، فقال الزركشي: "وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"(٣).

ثانيًا: خلاصة قصة لوط –عليه السلام

ذكر الله تعالى في سورة هود خلاصة قصة لوط–عليه السلام– قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ

(١) معجم مقاييس اللغة. لابن فارس. تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، (د، ط)، (د، م)، (١٣٩٩هـ)، مادة (نسب)، (٤٢٣/٥).
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. البقاعي. دار الكتاب الإسلامي: القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، (٦/١).
(٣) البرهان في علوم القرآن. للزركشي. (١٣١/١)، ونقل ذلك عنه السيوطي في الإتقان، (٩٧٨/٢).

رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾ [سورة هود: ٧٧-٨٣].

وهي باختصار أنه "كان لوط قد نزح عن محلّة عمه الخليل عليهما السلام بأمره له وإذنه، فنزل بمدينة سدوم من أرض غور زغر، وكان لها أرض ومعتملات وقرى مضافة إليها، ولها أهل من أفجر الناس وأكفرهم وأسوئهم طوية، وأردئهم سريرة وسيرة، يقطعون السبيل ويأتون في ناديهم المنكر، ولا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون، ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم، وهي إتيان الذكران من العالمين، وترك ما خلق الله من النسوان لعباده الصالحين، فدعاهم لوط إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، ونهاهم عن تعاطي هذه المحرمات والفواحش المنكرات، والأفاعيل المستقبحات فتمادوا على ضلالهم وطغيانهم، واستمروا على فجورهم وكفرانهم، فأحل الله بهم من البأس الذي لا يرد ما لم يكن في خلدهم وحسبانهم، وجعلهم مثلة في العالمين، وعبرة يتعظ بها الألباء من العالمين"(١).

ثالثًا: التعريف بسورة هود

سورة هود من السور المكية(٢)، "إلَّا الآيات: (١٢ و١٧ و١١٤) فمدنية"(٣)، وترتيبها: السورة الحادية عشرة من المصحف الكريم، وعدد آياتها مائة وثلاث وعشرون آية، وكان نزولها بعد سورة يونس، وقبل سورة يوسف(٤)، وهي نزلت في الفترة التي أعقبت حادث الإسراء والمعراج، وهذه الفترة تُعد من أشق الفترات وأحرجها وأصعبها في تاريخ الدعوة الإسلامية؛ ففي هذه الفترة مات أبو طالب عم النبي -صلى الله عليه وسلم-، والسيدة خديجة -رضي الله عنها- وأيضًا تعرّض النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذه الفترة لألوان من الأذى والاضطهاد فاقت كل ما سبقها(٥).

(١) قصص الأنبياء، لابن كثير، مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف: القاهرة، ط١، (١٣٨٨هـ)، (٢٥٤/١-٢٥٥).

(٢) البرهان في علوم القرآن. للزركشي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، (١٣٧٦هـ)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه: (٢٥٩/١).

(٣) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري. (توفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط٣، (١٤٢٠هـ)، (٣١٢/١٧).

(٤) انظر: التحرير والتنوير. لابن عاشور. الدار التونسية للنشر: تونس، (د، ط)، (١٩٨٤هـ)، (٣١٢/١١).

(٥) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم. للطنطاوي. دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع: الفجالة، القاهرة، ط١٥، (١٩٩٨م)، (١٤٧/٧-١٤٨).

وسميت بهذا الاسم لتكرار اسم هود فيها خمس مرات، وهذا غير موجود إلا في هذه السورة، ثم أن ما حكى عن هود في هذه السورة أطول مما حكي عنه في غيرها من السور، ولأن عادا وُصفوا فيها بأنهم قوم هود كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٦٠][١].

وفي أوائل سورة هود "ركّزت الآيات على إحكام القرآن الكريم، فهو لا يشتمل على أي نقض أو تناقض، كما أمرت بعبادة الله وحده باعتبار أنّ العبادة هي المقصود الديني الأعظم من خلق الإنسان"[٢]، وهذا ما ركزت عليه سورة هود في ثناياها.

وتتضمن سورة هود –عليه السلام– عرض الحقائق الأساسية في العقيدة الإسلامية: توحيد الله الواحد بلا منازع، وعبادة الله وحده بلا شريك، والاعتقاد في البعث والقيامة للحساب والجزاء على ما كان من الناس من عمل وكسب في دار العمل والابتلاء، مع تعريف الناس بربهم الحق، وصفاته المؤثرة في وجودهم وفي وجود الكون من حولهم، وبيان حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية، ومقتضاهما في حياة البشرية، وتوكيد الدينونة لله في الآخرة كالدينونة له سبحانه في الحياة الدنيا[٣].

المطلب الأول: التناسب بين القصة والمقصود الكلي للسورة

لكل سورة جملة من المقاصد التي تدل على مناسبة آيات القرآن الكريم وسوره، يقول البقاعي: "الحمد لله الذي أعلم سور الكتاب بما دلّ على مقاصدها أولي الألباب، ودلّ بمقاصدها على تناسب أجزائها"[٤]، فذكر المقصد يدرك من خلاله الوحدة الموضوعية للسور القرآنية، ودراسة ذلك من الأسباب التي تعين على فهم المراد من كتاب الله؛ وذلك لأن معرفة "الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ماله بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب، فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سرّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيه، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها»[٥]؛ لذلك تتصرف الألفاظ والمعاني في القصص القرآني، وفق نظام بديع، لتناسب سياقها؛ ولتحقق مقاصدها في أعلى درجات البلاغة فكل قصة أو حلقة منها، تختصّ بموضعها الواردة فيه، وأعني بذلك التناسب بين القصة والسورة التي هي منها،

(١) انظر: التحرير والتنوير. (٣١١/١١).
(٢) التفسير الوسيط. د وهبة بن مصطفى الزحيلي. دار الفكر: دمشق، ط١، (١٤٢٢هـ)، (١٠٢٠/٢).
(٣) ينظر الجواهر الحسان في تفسير القرآن. عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت، (١٩٧/٢)، والتفسير الوسيط للزحيلي، (١٠٨٦/٢).
(٤) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور. للبقاعي. مكتبة المعرف: الرياض، ط١، (١٤٠٨هـ)، (٩٧/١).
(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (١٢/١).

إذ تصرّف كل حلقة في موضعها المناسب من السورة الواردة فيها(١)، ويؤكد ذلك البقاعي بقوله: "إن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها ويستدل عليه فيها"(٢)، فمقصد السورة هو المتحكم بكل جزئيات القصة وتفاصيلها، وأنوه إلى ما قاله أحمد أبو زيد أثناء حديثه عن التناسب بين الحلقات القصصية وموضوع السورة: «من المؤكد أن القصص إنما يرد في سياق السورة ليؤدي وظيفته فيه، وقلّ أن ترد قصة بكل حلقاتها في سورة واحدة، وإنما يأتي في سياق كل سورة من حلقاتها ما يناسب موضوع السورة ومحورها وأهدافها، وهذا مظهر آخر من مظاهر وحدة السورة وتناسب معانيها، ومن آثار خضوع القصة في القرآن لوحدة السورة: عدم الالتزام بالترتيب الطبيعي لحلقات القصة، فمرة تعرض حلقة من أول القصة، ومرة من وسطها، ومرة من آخرها، وتارة تعرض بكاملها، كل ذلك بحسب ما يقتضيه مقصد السورة وموضوعها»(٣).

فمعرفة مقصود السورة يسهم في التعرف على سبب مجيء القصة في هذه السورة بالذات، وعدم مجيئها في غيرها، وإنما ذلك المجيء بما يناسب مع السياق والموضوع، وأن إرجاع الآيات إلى مقصدها الكلي في تناسب تام لهو ذروة الإعجاز في بابه.

معنى مقصد السورة: أصل مادة "قصد" في كلام العرب: «الاعتزام والتوجه...والنهوض نحو الشيء»(٤)، وقال الرازي: «القصد: إتيان الشيء، تقول: قصده وقصد له، وقصد إليه، كله بمعنى واحد»(٥).

ومن ثم، فمادة "قصد" يرجع معناها في اللغة إلى: إتيان الشيء، والتوجه إليه، والنهوض نحوه.

أما المراد من مقصد السورة هو «الموضوعات التي تدور عليها آيات السورة، فكل سورة في القرآن الكريم لها موضوعها البارز، الذي في الغالب تدور حوله الآيات والمعاني التي في السورة»(٦).

فمقصود السورة جامع لمطالب السورة، بحيث تكون كل آياتها كلامًا واحدًا(٧).

---

(١) انظر: بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم. لعبدالله النقراط. دار قتيبة: سوريا، دمشق، ط١، (١٤٢٣هـ)، (٩٦٩/٢).

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (١٤٩/١).

(٣) التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي. أحمد أبو زيد. مطبعة النجاح الجديدة: الدار البيضاء، (د، ط)، (١٩٩٢م)، (٦٧).

(٤) مادة: (ق، ص، د)، لسان العرب، (٣٥٥/٣).

(٥) مادة: (ق، ص، د)، مختار الصحاح، زين الدين الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية: الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط٥، (١٤٢٠هـ)،(٢٥٤/ ١).

(٦) مداخل التفسير عند المفسرين. دراسة تحليلية تأصيلية. عابدين طه أحمد، مجلة تبيان للدراسات القرآنية، (د، ط)، ع١٣، شعبان، (١٤٣٤هـ)، (٩٣).

(٧) انظر: دلائل النظام. عبد الحميد الفراهي الهندي. المطبعة الحميدية: ط١، (د، م)، (١٣٨٨هـ)، (٧٣).

أما تعريف مناسبة القصة لمقصد السورة:

هو العلم الذي يتخذ من مقاصد السور ظاهرة أساسية للكشف عن مناسبة القصة في السورة، متخذًا من الروابط والعلل سلمًا للوصول إلى الإعجاز في بلاغته، وتحقيقًا لمطابقة الكلام لمقتضى الحال.

ويقوم هذا المطلب على رؤية مفادها وجود تناسب يجمع بين القصة ومقصد السورة؛ لأن «من حقق المقصود من السورة عرف تناسب آياتها وقصصها، وجميع أجزائها»(١).

وعند النظر إلى مقاصد سورة هود فتجدها متعددة؛ ومنها: "وصف الكتاب بالإحكام والتفصيل في حالتي البشارة والنذارة المقتضي ذلك لوضع كل شيء في أتم مجاله، وإنفاذه مهما أريد الموجب للقدرة على كل شيء"(٢)، ويتناسب هذا المقصد ما ذُكر في سياق قصة لوط -عليه السلام- من أحكام البشارة والنذارة بالعاجل؛ يقول الرازي: "اعلم أن قوله تعالى مخبرًا عن لوط عليه السلام أنه: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [سورة هود: ٨٠]، يدل على أنه كان في غاية القلق والحزن بسبب إقدام أولئك الأوباش على ما يوجب الفضيحة في حق أضيافه، فلما رأت الملائكة تلك الحالة بشروه بأنواع من البشارات: أحدها: أنهم رسل الله، وثانيها: أن الكفار لا يصلون إلى ما هموا به، وثالثها: أنه تعالى يهلكهم، ورابعها: أنه تعالى ينجيه مع أهله من ذلك العذاب، وخامسها: أن ركنك شديد وإن ناصرك هو الله تعالى فحصل له هذه البشارات"(٣)، فكانت هذه البشرى من الملائكة للوط-عليه السلام- حتى تطمئن نفسه.

وأما الإنذار جاء في تضاعيف حوار لوط -عليه السلام- لقومه فهو متمثل بقوله- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [سورة هود: ٧٨].

ومن مقاصد السورة الكلية: "تثبيت النبي والمؤمنين بقصص الأنبياء السابقين، وتشديد الوعيد للمكذبين"(٤)، وجاءت قصة لوط -عليه السلام- في السورة مناسبة لهذا المقصد؛ حيث إنّ قصة لوط -عليه السلام- إحدى قصص الأنبياء التي ذُكرت في السورة، وكان الهدف منها ومن غيرها من قصص الأنبياء تثبيت الرسول -صلى الله عليه وسلم- وإبعاد الحزن عن قلبه بسبب ما كان يتعرض له مِن قومه؛ قال تعالى:﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠](٥).

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (١٤/١).
(٢) انظر: نفسه، (٢٥٠/٩).
(٣) مفاتيح الغيب. للرازي. دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط٣، (١٤٢٠هـ)، (٣٨١/١٨).
(٤) المختصر في تفسير القرآن الكريم. جماعة من علماء التفسير. إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط٣، (١٤٣٦هـ)، (٢٢١).
(٥) انظر: التحرير والتنوير. الطاهر بن عاشور (٣١٣/١١).

ومن جملة المقاصد التي جاءت بها السورة أيضًا: "تخويف أهل مكة، والأمر بالصبر، والقطع من الكفار، ترشيحًا للهجرة والنصر، وفيها أن إثبات أن الشرك والكفر بالمعاد يجر إلى فساد الأخلاق بالكلية والهلاك، فيهلكون، والمؤمنون ينصرون"(١).

وقد ناسبت قصة لوط -عليه السلام- أحد المقاصد الرئيسة للسورة في حال الأمم الكافرة مع رسلهم؛ فلم يؤمنوا به؛ بل استكبروا وأصروا على المعصية من خلال ترك ما أُحل لهم، وفعل ما حُرّم عليهم؛ وذلك يظهر في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٨-٧٩]، وأما هلاكهم ونجاة لوط -عليه السلام- ومن معه من المؤمنين، فجاء في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾ [سورة هود: ٨١-٨٣]، فهذا حال الذين انحرفت فطرتهم، وهي سنة الله في عقاب وهلاك الأمم "وأما قوله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾، فإنه يقول تعالى ذكره متهددًا مشركي قريش: وما هذه الحجارة التي أمطرتها على قوم لوط، من مشركي قومك، يا محمد، ببعيد أن يمطروها، إن لم يتوبوا من شركهم"(٢)، فيتضح مما سبق مناسبة قصة لوط-عليه السلام- المقصد من السورة وهو تخويف أهل مكة، وكان في ختام قصة لوط-عليه السلام- ما يدل على ذلك فكان مجيء القصة مؤازرا لإبراز هذا المقصد.

المطلب الثاني: التناسب بين القصة ومطلع السورة

سورة هود منذ بدايتها تُعلن في وضوح تام معالم القضية التي تتناولها وتظهرها شاخصة أمام العين؛ وهي قضية البشارة والنذارة، حيث تبدأ السورة على وجه السرعة في تقديم النذارة والبشارة، وهو متمثل في ثاني آية من هذه السورة في قول الله تعالى: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾ [سورة هود: ٢]، ولهذا كان المقصد الرئيس من سورة هود -عليه السلام-: "وصف الكتاب بالإحكام والتفصيل، في حالتي البشارة والنذارة المقتضى لوضع كل شيء في أتم محاله وإنفاذه، مهما أريد، الموجب للقدرة على

(١) دلائل النظام، (٩٤).

(٢) جامع البيان عن تأويل أي القرآن. للطبري. دار التربية والتراث: مكة المكرمة، تحقيق: محمود محمد شاكر، (د، ط)، (د، ت)، (٤٣٨/١٥).

كل شيء"[1]، وجاءت قصة لوط -عليه السلام- حاملة في أحداثها القضية نفسها حيث إن لوطًا -عليه السلام- لما جاءته رسل ربه - ولم يعرف سبب مجيئهم في بداية الأمر- أحسّ بضيق بسبب خوفه عليهم من فعل قومه، حيث أنهم كانوا يعملون الفواحش، ويكثرون منها، فهم قد مرنوا عليها، وقل عندهم استقباحها[2]؛ وأنذرهم فلم يستجيبوا له، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود:٧٧-٧٨].

وأما البشارة فجاءت من الملائكة للوط -عليه السلام- في قول الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [سورة هود: ٨١].

فيتضح مما سبق أن قصة لوط -عليه السلام- جاءت مناسبة لمطلع هذه السورة.

المطلب الثالث: مناسبة القصة لخاتمة السورة

لو تحدثنا عن سبب مجيء قصة لوط -عليه السلام – وغيرها من القصص التي جاءت في السورة لوجدنا هذا السبب في خاتمة السورة، فالمتأمل لخاتمة السورة يجد أنها إيناس "النبي- صلى الله عليه وسلم- وتسليته باختلاف قوم موسى في الكتاب الذي أوتيه، فما على الرسول وأتباعه إلا أن يستقيم فيما أمره الله، وأن لا يركنوا إلى المشركين، وأنّ عليهم بالصلاة والصبر والمضي في الدعوة إلى الصلاح؛ فإنّه لا هلاك مع الصلاح"[3]، في قول الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة هود: ١٢٠]، وفي "تثبيت فؤاد الرّسول (صلى الله عليه وسلم) زيادة يقينه ومعلوماته بما وعده الله لأن كل ما يعاد ذكره من قصص الأنبياء وأحوال أممهم معهم يزيده تذكرًا وعلمًا بأنّ حاله جار على سنن الأنبياء وازداد تذكرًا بأنّ عاقبته النصر على أعدائه، وتجدّد تسلية على ما يلقاه من قومه من التكذيب وذلك يزيده صبرًا"[4].

---

(١) مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْنَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (توفى: ٨٨٥هـ)، مكتبة المعارف: الرياض، ط١، (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، (١٧٥/٢).

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. للزمخشري. ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث: القاهرة، ط٣، (١٤٠٧هـ)، (٤١٣/٢).

(٣) التحرير والتنوير، (٣١٣/١١).

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (١٩٢/١٢).

كما أننا نلحظ في ثنايا قصة لوط الفرج بعد الشدة واليسر بعد اشتداد العسر، فقد ضاق بنبي الله لوط السبل عندما جاءه قومه يهرعون إليه مريدين الفاحشة بأضيافه، ولما أراد قوم لوط –عليه السلام– أن يفعلوا الفاحشة بالملائكة الذين كانوا في صورة بشر، كان لوط – عليه السلام– حريصًا على سلامة ضيوفه، فدافع عنهم، وحاول أن يقنع قومه بإعطائهم بدائل حلال، وهو الزواج من بناته و"كانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم؛ لخبثهم وعدم كفاءتهم، وكان في ذلك الوقت تزويج المسلمة من الكافر جائزًا"(١)، بدلًا عن رأيهم الشيطاني في فعل الفاحشة، قال الله عن ذلك: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ [سورة هود:٧٨]، فكان إظهاره – لمقترح تزويج بناته – وقاية ضيفانه، وفداءهم بهن ومبالغة في الحرص عليهم والاعتناء بحمايتهم، وقيامًا بالواجب في مثل هذا الخطب الفادح الفاضح(٢).

ولا شك أن في تأمل هذا الخطب وفداحته ثم تفريج الله على نبيه لوط ونصره وإهلاك قومه الفاجرين، ونصر الله للمؤمنين في كل ذلك تثبيت لقلب النبي وقلوب أتباعه.

المطلب الرابع: مناسبة قصة لوط –عليه السلام– للقصة التي قبلها والتي بعدها

من المؤكد أن القصص إنما ترد في السورة لتحقق هدفها فيه كما مرّ في المطلب الأول، وكذلك ترتيب الآيات في السورة الواحدة؛ إنما يأتي لمناسبة وهدف، فقد تشترك بين قصة والقصة التي تسبقها، بحسب الترتيب الزمنيّ لها، أو القرب المكاني، أو القرب في النسب، وقد يكون تبعًا للموضوع، وهذا ما سيبينه هذا المطلب مع بيان الإعجاز في كلٍّ.

فالقصة بوصفها مكوّنًا من مكونات السورة يبرز فيها التناسب بصورة واضحة، فالسورة بما تحويه من اختلاف في القصص إلا أنها مترابطة، إذا انتظمت مع غيرها من القصص.

وحين تتبع المعاني ويكشف عن وجه المناسبة تجدها متقاربة، يقول عبد القاهر الجرجاني: «لا يكون الإتيان بالأشياء بعضها في أثر بعض على التوالي نسقًا وترتيبًا، حتى تكون الأشياء مختلفة في أنفسها، ثم يكون للذي يجيء بها مضمومًا بعضها إلى بعض، غرض فيها ومقصود لا يتم ذلك الغرض وذاك المقصود، إلا بأن يتخير لها مواضع فيجعل هذا أولًا، وذاك ثانيًا؟»(٣)، فرسم عبد القاهر الجرجاني هنا الأصل العام المعتبر في كل نسق، ثم يتخذ مسارًا آخر وينفرد بخصوصية شمولية التعليق وتنوع صوره، فيحيط بالنص كله

(٣) التفسير المظهري، (١٠٣/٥).
(٢) ينظر محاسن التأويل، (١١٩/٦)، وتفسير المنار، (١١١/١٢).
(٣) دلائل الإعجاز، (٣٩١/١).

على تباعد جمله واختلاف أغراضه؛ لأنه تتبع للمعاني، وجهات انتساب بعضها إلى بعض، وأحوالها في بعض فتتقارب على تباعدها[١]، وهذا التناسب بين الآيات من مظاهر إعجاز هذا الكتاب العظيم.

وقبل الدخول في غمار هذ الموضوع أذكر **مفهوم التناسب بين القصص في السورة الواحدة**، وهو: البحث والارتباط[٢] بين الآيات التي تذكر طائفة من القصص المتتابعة التي جُمعت وضُمّ بعضها إلى بعض حتى بلغت في الطول والقصر المقدار الذي تطلبه كل سورة؛ لإثبات أن هذا الترتيب جاء محققًا للوحدة العضوية.

وقد سعى بعض العلماء إلى بذل الجهد في إبراز المناسبة، والبحث عن السر وراء هذا الترتيب والارتباط، بما أوتوا من علم، وأثبتوا وأقروا بالوحدة والتناسب، فقد أشار البقاعي إلى أن من وجوه إعجاز القرآن الكريم، التناسب بين الآيات، في قوله: «إن في كل آية معنى تنتظم به بما قبلها ومعنى تتهيأ به للانتظام بما بعدها، وبذلك كان انتظام الآي داخلًا في معنى الإعجاز الذي لا يأتي الخلق بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا»[٣].

ويقول في تفسيره لآية التحدي في سورة البقرة[٤] محددًا مكمن الإعجاز، ومنزّهًا القرآن عن التفكك: «ليفيد أن المطلوب منهم في التحدي قطعة من ذلك المثل الذي ادعوه، حكيمة المعاني، متلائمة المباني، منتظم أولها بآخرها، كسور المدينة في صحة الانتظام، وحسن الالتئام، والإحاطة بالمباني التي هي كالمعاني، والتقاء الطرفين، حتى صار بحيث لا يُدرى أوله من آخره، سواء كانت القطعة المأتيّ بها تباري آية أو ما فوقها؛ لأن آيات القرآن كسورة يعرف من ابتدائها ختامها، ويهدي إلى افتتاحها تمامها، فالتحدي هنا منصرف إلى الآية بالنظر الأول وإلى ما فوقها بالنظر الثاني»[٥].

فمهمة التناسب هنا الربط بين الآيات «فتكون السورة كالشجرة النضيرة العالية، والدوحة البهيجة الأنيقة الخالية، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدر، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرةً كبرى، مشتملة على دوائر الآيات الغُرِّ، البديعة النظم، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها»[٦]، وهو كلام كاشف عن تشابك آي السورة الواحدة في التظاهر على المقصد الواحد، وأن المقاصد تظهر في

(١) انظر: التناسب في تفسير الإمام الرازي، دراسة في أسرار الاقتران، (٧٣).
(٢) انظر: في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم: (٥٤).
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: (١/٢٣٤-٢٣٥).
(٤) وأقصد بذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٣].
(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (١/١٦٥).
(٦) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (١/١٤٩).

الأبنية والتراكيب وترتيب الآيات، فقد يقع الاختلاف في ترتيب قصة ما في سورة ما، تلاؤمًا مع الغرض، وتناسبًا مع حركة المعنى في السورة، وقلّ مثل ذلك في التراكيب وفي الألفاظ، ومن أجل صعوبة هذا الباب كان القول فيه عزيزًا(١).

والتشابه والتشابك من أصول النظم؛ ولهذا حكم عبد القاهر الجرجاني بإسقاط النظم عن الكلام إذا لم يكن متعلقًا بعضه برقاب بعض، فيقول في ذلك: «ألا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك»(٢)، أي أن «التشابه والتناسب أصل معتبر في فصاحة الكلام؛ لأن التعليق هو ملاحظة الوشائج والروابط المعنوية، التي يحسن بها اقتران الكلمة بالكلمة، وضمّها إليها، وجعل آخرها بسبب من أولها»(٣).

إن ذكر التناسب بين القصص في السورة الواحدة هو تأكيد اتصال الآيات بعضها مع بعض في السورة؛ «لأن معرفة مناسبات الآيات في جميع القرآن مترتبة على معرفة الغرض، أو الأغراض التي سيقت لها السورة»(٤)، لذا كان من المهمّ أن أذكر ما قيل في علم المناسبات بين القصص في السورة الواحدة؛ لأن التناسب خير معين على معرفة الهدف الرئيس من السورة، حيث «إن آثار إدراك المناسبات بين المقاطع والأجزاء في السورة على التعرف على هدف السورة كبيرة، وبالمقابل فإن ظهور الهدف في السورة يعين كثيرًا على التعرف على المناسبات بين مقاطعها وفقراتها»(٥).

ويؤكد ذلك ما ذكره الدكتور محمد خوجة «عن الحكمة من إيراد القصص في السورة الواحدة، يؤدي إلى معرفة الموضوع الأس لهذه السورة»(٦).

إذن التناسب بين الآيات «من العلوم المهمة المقدمة في دراسة التفسير، التي تكشف للدارس الكثير من معاني القرآن ولطائفه وروائعه، والنظر في وجه التناسب بين الآيات سابقها ولاحقها، بل بين فقرات الآية الواحدة، فهو خير معين في فهم المعنى وفق السياق الذي ورد فيه استنباطًا، أو اختيارًا، أو ترجيحًا»(٧)، وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوى الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء(٨)؛ ويؤكد على هذا ما قاله ابن الزملكاني، حيث يقول: «وكذا كل

(١) انظر: حركة المعنى في سورة الفجر. دراسة بلاغية، د.إبراهيم الهدهد. مكتبة وهبة: القاهرة، ط٢، (١٤٤٠هـ)، (١٢).
(٢) دلائل الإعجاز. للجرجاني. تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط٥، (١٤٢٤هـ)، (٥٥).
(٣) التناسب في تفسير الإمام الرازي. دراسة في أسرار الاقتران، د.منال مبطي المسعودي. مكتبة وهبة: القاهرة، ط١، (١٤٣١هـ)، (١٥٩).
(٤) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم. أشواق حسن علي الأبيض. دار الآفاق العربية: القاهرة، ط١، (٢٠١٢م)، (٤٩).
(٥) مباحث في التفسير الموضوعي. أ.د.مصطفى مسلم. دار التدمرية: الرياض، ط١، (١٤٣٠هـ)، (٤٧).
(٦) الوحدة القرآنية دراسة تحليلية مقارنة. د.محمد خوجة. دار كنوز إشبيليا: المملكة العربية السعودية، الرياض، ط١، (١٤٣١هـ)، (٢٧٩).
(٧) مداخل التفسير عند المفسرين دراسة تحليلية تأصيلية، (٩٧).
(٨) انظر: البرهان في علوم القرآن، (٣٦/١)، وانظر: الإتقان في علوم القرآن. للسيوطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب: (١٣٩٤هـ)، (٣٠٢/٢).

ما تراه في التنزيل معطوفًا منقطعًا في الظاهر عمّا قبله فلا بدّ من اتصاله به معنى، عرف ذلك من عرفه أو جهله من جهله»[1]، ولذلك قال الزركشي عن شيخه ولي لدين الملوي: «والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علمٌ جمٌّ، وهكذا في السور، يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له»[2].

أما البقاعي فقد كشف عن الأسباب التي دعت إلى الترتيب بين الجمل والآيات والقصص فيقول: «وأما من جهة الترتيب في الجمل والآيات والقصص في المبادئ والغايات، فلكونه مثل تركيب الكلمات، كل جملة منتظمة بما قبلها انتظام الدرّ اليتيم في العقد المحكم النظيم؛ لأنها إما أن تكون علة لما تلته، أو دليلًا، أو متممة بوجه من الوجوه الفائقة، على وجه ممتع الجناب جليل الحجاب؛ لتكون أحلى في فمه، وأجلى بعد ذوقه في نظمه، وسائر علمه»[3].

١- مناسبة قصة لوط -عليه السلام- والقصة التي قبلها:

عند النظر إلى القصة التي تسبق قصة لوط-عليه السلام - وهي في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [سورة هود:٦٩-٧٧].

فهي قصة إبراهيم -عليه السلام- وهي التي تسبق قصة لوط -عليه السلام- وعند إمعان النظر في العلاقة بين إبراهيم-عليه السلام -ولوط -عليه السلام- وسعيًا إلى استكناه هذه العلاقة والروابط الوثيقة بينهما يظهر بأن التناسب بين القصتين تناسب مكاني وزمني وموضوعي مع القرب من ناحية النسب فالسرد القصصي هنا متناسب فمن ناحية المكان فهناك قرب مكاني حيث إن قرية إبراهيم-عليه السلام- تبعد عن قرية لوط أربعة فراسخ[4].

(١) التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، (١٣٣-١٣٤).
(٢) البرهان في علوم القرآن، (٣٧/١).
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٢٣٣/١٩).
(4) الجامع لأحكام القرآن. للقرطبي. تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية: القاهرة، ط٢، (١٣٨٤هـ)، (٧٣/٩).

ومن ناحية التناسب الزمني فقد "جمع الله تعالى قصة إبراهيم ولوط في موضع واحد؛ لأنهما كانا في زمن واحد، ولا مانع من أن يوجد نبيان في زمن إذا تباعد الإقليمان"(١).

ومن ناحية التناسب الموضوعي بينهما فقصتي إبراهيم ولوط -عليهما السلام- تخدمان في المحور نفسه، محور العبادة(٢).

ومن ناحية القرب في النسب: فلوط -عليه السلام- "ابن أخي إبراهيم عليهما الصلاة والسلام"(٣)، فبينهما قرابة روح وقرابة نَسَب(٤).

٢- مناسبة قصة لوط -عليه السلام- والقصة التي بعدها

اتفق التوالي الزمني والمكاني بين قصة لوط -عليه السلام- وقصة شعيب -عليه السلام- فالآية التي بعد قصة لوط -عليه السلام- متمثلة في قصة شعيب وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقٗا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ٨٩ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾ [سورة هود:٨٧-٩٠].

يقول الرازي: «وأما قوله: ﴿وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾ ففيه وجهان: الأول: أن المراد نفي البعد في المكان؛ لأن بلاد قوم لوط قريبة من مدين، والثاني: أن المراد نفي البعد في الزمان؛ لأن إهلاك قوم لوط أقرب الإهلاكات التي عرفها الناس في زمان شعيب، وعلى هذين التقديرين فإن القرب في المكان وفي الزمان يفيد زيادة المعرفة، وكمال الوقوف على الأحوال، فكأنه يقول: اعتبروا بأحوالهم، واحذروا من مخالفة الله -تعالى- ومنازعته؛ حتى لا ينزل بكم مثل ذلك العذاب»(٥).

فالرابط بين ذكر قصة شعيب بعد قصة لوط رابط زمني مرتبط بالحدث داخل القصة الذي رتب ترتيبًا زمنيًّا ومكانيًّا، فذكر القصة هنا متناسقة ومترابطة ترابطًا زمنيًّا ومكانيًّا(٦).

(١) زهرة التفاسير. لأبي زهرة. دار الفكر العربي: (د، ط)، (د، ت)، (٣٧٢٩/٧).
(٢) الأساس في التفسير. لسعيد حوى. دار السلام: القاهرة، ط٦، (١٤٢٤هـ)، (٢٥٩٢/٥).
(٣) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير. للشربيني. مطبعة بولاق: القاهرة، (١٢٨٥هـ)، (٧١/٢).
(٤) التيسير في أحاديث التفسير. للناصري، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط١، (١٤٠٥هـ)، (١٣٤/٣).
(٥) التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، (٣٨٧/١٨).
(٦)) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. للجزائري. مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٥، (١٤٢٤هـ)، (٥٧٠/٢).

ومن خلال ما سبق يتبيّن أن القصة جاءت جزءًا لا يتجزأ من الآيات فالقصة القرآنية وحدة في الموضوع، ووحدة في الجو، ووحدة في النسق، ووحدة في المنهج التأثيري، ووحدة في مسار القرآن على عمومه، فالقصة في سور القرآن جزء منها متلاحم أتمّ التلاحم لا نحس تباينًا، ولا نجد افتراقًا، «فالقصة في السورة مثل الآية فيها، تمثل اللبنة في البنية المحكمة القوية»(١)، وتتمثل هذه اللبنة باتفاق القصة بالمقصد بشكل خاص وبالآيات بشكل عام، فقصة لوط-عليه السلام- جاءت متحدة المعاني متآلفة ومترابطة في أهدافها ومراميها، قوية في تأثيرها، فمثل هذا التناسب يثبت أن القرآن الكريم «غير منقسم إلى أجزاء وفصول، وغير مبوب على أفكار ومعانٍ معينة، شأن الكلام البشري، بل هو أسلوب فريد، وطراز متميز، تتداخل معانيه وعلومه، وتتضافر جميعها لتحقيق الغرض الكلي للقرآن الكريم، وهو أنه كتاب توحيد وهداية وتشريع ودعوة إلى عبادة الله وحده، ولكن هذه المعاني غير متنافرة ولا متباعدة فيما بينها، بل بينها ترابط ومناسبة، وآياته وسوره متآلفة، يأخذ بعضها برقاب بعض، تتعدد الأفكار فيها وتتداخل، لكنها ترد كلها لمناسبة تجمع بينها، على وجه من الوجوه»(٢)، فلا تجد قصة من هذه القصص مقحمة في غير موضعها، بل جاءت القصة فيه مناسبة لمقصد السورة التي وضعت فيها، بل إنه جاء التناسب بين كل قصة وقصة في ترتيب فاق مستوى العرب وأعجزهم، ولا غرو أن تجد مثل هذا التلاحم، فهي من لدن حكيم خبير.

الخاتمة:

الحمد لله على نعمه التي لا تُعد ولا تحصى، الحمد لله حمدًا كثير طيبًا مباركًا فيه؛ الحمد لله على تمام هذا البحث الذي تحدثت فيه عن التناسب القرآني في النظم الموضوعي لقصة لوط -عليه السلام- سورة هود نموذجًا، حيث بدأت الدراسة بتمهيد ذكرت فيه مفهوم التناسب، وقيمته، وعرّفت فيه بسورة هود وأهدافها، ثم الحديث عن التناسب القرآني في النظم الموضوعي لقصة لوط -عليه السلام؛ من خلال التناسب بين القصة ومقصد السورة، وبين القصة ومطلع السورة وخاتمتها، ثم الحديث عن التناسب بين القصة والقصة التي قبلها والتي بعدها، وتوصلت دراسة ذلك كله إلى نتائج وهي ما يأتي:

١- جاءت قصة لوط -عليه السلام- مناسبة لمقصد سورة هود الواردة فيها، وكانت أحداثها محكمة وكل حدث فيها يدل على مقصده من هذه السورة، فهذا البناء المحكم يعجز عن الإتيان بمثله بشر.

٢- مناسبة قصة لوط -عليه السلام- لمطلع سورة هود وخاتمتها.

٣- هناك علاقة بين قصة لوط -عليه السلام- والقصة التي قبلها والقصة التي بعدها في تناسب عجيب وترتيب بديع.

٤- علم التناسب يظهر الوحدة الموضوعية للقصة القرآنية، ويبيّن وجه مناسبتها في السورة وهذا يعكس وجهًا من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.

(١) البيان القصصي في القرآن الكريم. إبراهيم عوضين. مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشروالإعلام: الرياض، ط٢، (١٤١٠هـ)، (١٧٠).
(٢) في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم. أ.د.وليد قصاب. دار الفكر: دمشق، ط٢، (٢٠١٤م)، (٥٦-٥٧).

التوصيات:

تبدت لي بعد دراستي للتناسب القرآني في النظم الموضوعي لقصة لوط –عليه السلام– مجموعة من التوصيات، أرجو أن تكون نافعة في بابها إن شاء الله –تعالى– مفيدة للباحثين أهمها ما يأتي:

أولًا: تناول القصص الواردة في القرآن بمزيد من الدراسات؛ لإظهار إعجاز القرآن في القصص، فقد تبيّن أنها ما زالت بحاجة إلى مزيد من الجهود؛ لإخراجها، وبيان إعجاز القرآن الكريم ولحمة أجزائه.

ثانيًا: ضرورة اهتمام الباحثين والمختصين بجوانب الإعجاز في القرآن الكريم من خلال دراسة التناسب القرآني من شتى جوانبه.

ثالثًا: كما أقترح دراسة التناسب القرآني في النظم الموضوعي والأسلوبي للقصص الواردة في القرآن.

عسى أن تكون هذه الدراسة فاتحة لمزيد من الدراسات المتخصصة في الموضوعات ذات العلاقة بالقصص، ومنبهة على كنز، لم يتح لها سوى الإشارة إليه، والدلالة عليه، وأسأل الله أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن، وأن ينفع به كل من قرأه، وأن يجعله مباركًا حيثما حلّ وارتحل، وأن يجعله حجابًا لي من النار ووالديّ وزوجي وذريتي وعائلتي، وكل من له حق علي؛ والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المصادر والمراجع:

الإتقان في علوم القرآن. للسيوطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب: (١٣٩٤هـ).

الأساس في التفسير. لسعيد حوى. دارالسلام: القاهرة، ط٦، (١٤٢٤هـ).

جامع البيان عن تأويل آي القرآن. للطبري. دار التربية والتراث: مكة المكرمة، (د، ط)، (د، ت)، تحقيق محمود محمد شاكر.

أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. للجزائري. مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٥، (١٤٢٤هـ).

البرهان في علوم القرآن. للزركشي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه: ط١، (١٣٧٦هـ).

بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم. لعبدالله النقراط. دار قتيبة: سوريا، دمشق، ط١، (١٤٢٣هـ).

البيان القصصي في القرآن الكريم. إبراهيم عوضين. مؤسسة دار الأصالةللثقافة والنشروالإعلام: الرياض، ط٢، (١٤١٠هـ).

التحرير والتنوير. لابن عاشور. الدار التونسية للنشر: تونس، (د، ط)، (١٩٨٤هـ).

التفسير الوسيط للقرآن الكريم. للطنطاوي. دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع: الفجالة، القاهرة، ط١٥، (١٩٩٨م).

التناسب البياني في القرآن. دراسة في النظم المعنوي والصوتي، أحمد أبو زيد. مطبعة النجاح الجديدة: الدار البيضاء، (د، ط)، (١٩٩٢م).

التناسب في تفسير الإمام الرازي. دراسة في أسرار الاقتران، د.منال مبطي المسعودي. مكتبة وهبة: القاهرة، ط١، (١٤٣١هـ).

التيسير في أحاديث التفسير. للناصري. دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط١، (١٤٠٥هـ).

الجامع لأحكام القرآن. للقرطبي. تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية: القاهرة، ط٢، (١٣٨٤هـ).

حركة المعنى في سورة الفجر. دراسة بلاغية، د.إبراهيم الهدهد. مكتبة وهبة: القاهرة، ط٢، (١٤٤٠هـ).

دلائل الإعجاز. للجرجاني. تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط٥، (١٤٢٤هـ).

دلائل النظام. عبد الحميد الفراهي الهندي. المطبعة الحميدية: (د، م)، ط١، (١٣٨٨هـ).

زهرة التفاسير. لأبي زهرة. دار الفكر العربي: (د، ط)، (د، ت).

السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير. للشربيني. مطبعة بولاق: القاهرة، (١٢٨٥هـ).

في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم. أ.د.وليد قصاب. دار الفكر: دمشق، ط٢، (٢٠١٤م).

قصص الأنبياء. لابن كثير، مصطفى عبد الواحد. مطبعة دار التأليف: القاهرة، ط١، (١٣٨٨هـ).

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. للزمخشري، ضبطه وصححه ورتّبه مصطفى حسين أحمد. دار الريان للتراث: القاهرة، ط٣، (١٤٠٧هـ).

مباحث في التفسير الموضوعي. أ.د.مصطفى مسلم. دار التدمرية: الرياض، ط١، (١٤٣٠هـ).

مختار الصحاح. زين الدين الرازي. تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية: بيروت، صيدا، ط٥، (١٤٢٠هـ).

المختصر في تفسير القرآن الكريم. جماعة من علماء التفسير. إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط٣، (١٤٣٦هـ).

مداخل التفسير عند المفسرين. دراسة تحليلية تأصيلية، د.طه عابدين طه أحمد. **مجلة تبيان للدراسات القرآنية**، ع١٣، شعبان، (١٤٣٤هـ).

مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور. للبقاعي. تحقيق د.عبدالسميع حسنين، مكتبة المعارف: الرياض، (١٤٠٨هـ).

معجم مقاييس اللغة. لابن فارس. تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر: (د، ط)، (د، م)، (١٣٩٩هـ).

مفاتيح الغيب. للرازي. دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط٣، (١٤٢٠هـ).

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. البقاعي. دار الكتاب الإسلامي: القاهرة، (د، ط)، (د، ت).

الوحدة القرآنية دراسة تحليلية مقارنة. د.محمد خوجة، دار كنوز إشبيليا. المملكة العربية السعودية، الرياض، ط١، (١٤٣١هـ).

الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم. أشواق حسن علي الأبيض. دار الآفاق العربية: القاهرة، ط١، (٢٠١٢م).